الإنجازات الحضارية لدولة بني مرين في المغرب الأقصى للمدة من 668هـ - 869هـ

د. خليل جليل بخيت القيسي

جامعة بغداد / كلية التربية

المقدمة :

قبيلة بني مرين من القبائل التي تعد نموذجاً للقبيلة البدوية التي استطاعت بفضل جهود قادتها الأول وعلى مدار ما يقارب من ستين عام من الصراع مع الموحدين أن تفرض نفسها بقوة كواقع قبلي وسياسي جديد في المغرب الأقصى بعدما بدأ نفوذ الموحدين بالتقهقر بعد خسارتهم معركة العقاب في بلاد الأندلس سنة 609هـ/1211م ، في هذه الأجواء الصعبة، دخل المرينيون الى مواطن المغرب الأقصى الزارعية والحضارية بعد أن وجدوا أهلها قد هجروها بسبب الضرائب القاسية التي فرضتها الدولة عليهم وفقدانهم للرجال في حروب الأندلس والصراعات الداخلية، إذ استطاع بني مرين من السيطرة على معظم بوادي وحواضر المغرب، فنشب صراع مع الموحدين المتهالكين فتوالت انتصاراتهم وبدأت بوادر ظهور دولة جديدة لترسم معالم جديدة بعدما تم القضاء على دولة الموحدين والسيطرة على عاصمتهم مراكش سنة 668هـ/1269م وقتل الخليفة الموحدي أبو دبوس ، في أواخر سنة 667هـ/1268م .

حكم المدينيون بلاد المغرب من وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً ومن البحر المتوسط شمالاً الى الصحراء الكبرى جنوباً حقبة زمنية تزيد على قرنين، أسهمت في تحقيق قيم التواصل للأمة الإسلامية من خلال محافظتها على روح الإسلام وتقويته في تلك الربوع، ونصرتها لأهل الأندلس بالجيوش والمجاهدين والسلاح والمال على مدى قرنين في الزمان فكانت لهم صولات وانتصارات على جيوش أسبانيا المسيحية فأوقفت ذلك الانهيار الذي أصاب المسلمين بعد معركة العقاب فكان انتصار أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق سنة 684هـ/1286م على الأسبان في معركة أستجة الشهيرة لهو دليل على الحفاظ على وحدة الأمة وسلامتها.

وتناول البحث محاور عدة ففي المحور الأول تناولت التعريف بالدولة المرينية والعوامل التي ساعدتهم على بناء دولتهم، وتناول المحور انجازات الدولة في المجال الاقتصادي ، وحظي الجانب العلمي مكانة مرموقة لدى حكام المرينيين وأبناء المجتمع فضلاً عن أهتمام المرينيين بالجانب العمراني لما لهُ من أهمية في بناء الدولة وعرجت الى العوامل التي أدت إلى تقهقر الدولة ونهايتها

أولاً : التعريف بالدولة المرينية :

– أصل بني مرين :

يرجع أصل بني مرين الى قبيلة زناتة المغربية، وهناك من المؤرخين من أرجع نسب زناتة الى قبيلة مضر[1]. وانتقلت الى بلاد المغرب الأقصى وتفرقوا هناك، وكانت بينهم وبين العرب كثير من أوجه التشابه في البداوة وسكن الصحراء وركوب النجب والخيل وطريقة القتال وهي الكر والفر، وسكنت قبيلة مرين وأقاربها البراري والقفار من فجيج الى سجلماسة وما بين بلاد ملوية الى بلاد الزاب من أفريقية ، (حيث يرعون ماشيتهم ، وكانوا لا يعرفون الحرث ولا التجارة ولا يشتغلون بغير الصيد والغارات، وجل أموالهم الخيل والأبل، وطعامهم اللحم والتمر واللبن) [2]. وكان أول ظهور فعلي لقبائل بني مرين في المغرب سنة 610هـ/1212. إذ دخلت مجموعات منهم أراضي المغرب الأقصى، وخاضوا صراعاً قوياً ومدهشاً ضد الموحدين حتى تمكنوا في سنة 656هـ/1257 مبايعة الأمير يعقوب بن عبد الحق الذي ظهرت على يده أسس دولة جديدة تقارع الدولة الموحدين المتهالكة أمير عليهم[3].

ثانياً : العوامل التي ساعدت على قيام الدولة المرينية

هناك عدة أسباب تظافرت فأدت الى قيام دولة جديدة على حساب دولة الموحدين ومن هذه الأسباب المهمة :

أ – الصراع الطويل الذي دار بين المرينيين وخصومهم الموحدين القائمين بحكم بلاد المغرب :

لم يخضع بني مرين الى حكم أي سلطان أو حاكم حتى قيل أنهم : ((لا يؤدون لأمير درهماً ولا ديناراً ولا يدخلون تحت حكم سلطان)) [4]. وذلك كونهم قبائل تقطن الصحراء وبعيدة عن سلطة الحكام متنقلين وراء الماء والكلأ، على عكس بني عبد الواد أبناء عمومتهم وخصومهم الذين كانوا يخضعون لسلطام الموحدين، ولكن كانت لهم مشاركات فعالة وقوية في معركتي الأرك التي انتصر فيها الموحدين على جيوش الأسبان سنة591 هـ/ 1195م، ومعركة العقاب سنة 609هـ/1211م التي خسر فيها الموحدون، وكان قتالهم الى جانب الموحدين ببلاد الأندلس بدوافع دينية جهادية وثبت ذلك فيما بعد حين شاركوا في مساندة مسلمي الأندلس كمجاهدين منتصرين للدين الإسلامي وأهله[5].

وبعد معركة العقاب سنة 609هـ/1211م أصاب الدولة الموحدية ضعف كبير وتراجع واضح في الجانبين المالي والعسكري مما مهد لبني مرين المتوثبين على انتهاز فرصة حسم صراعهم العسكري مع الموحدين بقيادة الأميرين الأخوين أبو يحيى عبد الحق، وأبو يوسف يعقوب اللذين سيطرا على العديد من المدن والحواضر المغربية،كمدينة مكناس سنة 642هـ/1244م، ومدينة فاس سنة 646هـ/1248م، وهذه الخسائر الموحدية حصلت بعد موت الخليفة الموحدي الناصر سنة (595هـ

- 610هـ/1197م - 1213م) [6]، وذلك عن طريق بناء جيش وتقويته بالقبائل المتحالفة معهم وتزويده بالسلاح والعدد[7].

فضلاً عن التنافس وطمع الأمراء الموحدين وبطانة كل واحد منهم من الوصول الى سدة الحكم مما دفع بعض الولاة وعمال الأقاليم الى الاستقلال بولاياتهم بعيداً عن سلطة الموحدين مما أضعف من شوكة الخلافة الموحدية أمام تحديات بني مرين المتصاعدة بقوة[8].

كل تلك العوامل والظروف شجعت المرينيين من استغلال انعدام الرؤية السياسية الموحدية في مواجهة الأخطار المحدقة بهم، فاندفع بني مرين وقبائلهم من معاقلهم في الصحارى والفيافي الى بلاد المغرب الخصبة محققين نصراً واضحاً على الموحدين تمثل في السيطرة على ما بأيدي الموحدين من بلاد بعد أن أيقنوا من ضعف خصومهم في جميع مفاصل الحياة[9].

ب – دعم بني حفص حكام أفريقية للمرينيين في مجال المال والسلاح :

كان هدف الحفصيين من هذا الدعم هو إضعاف قوة الموحدين في مراكش، وقد قبل بني مرين هذا الدعم وتقديم الولاء للحفصيين لحين تحقيق أهدافهم في قيام دولتهم وكان الامير أبو بكر بن عبد الحق أعلن ولائه والدعاء لهم على منابر المدن والولايات التي تقع تحت حكم المرينيين[10].

فحقق بذلك المرينيين هدفين الأول أنهم غير خارجين عن السلطان الموحدي كون بني حفص يمثلون الفرع المهم والقوي في الموحدين وأعلنوا دولتهم في أفريقية سنة 625هـ/1227م، فأضفوا الصفة الشرعية على دعوتهم، والثاني هو تلقي دعم عسكري ومالي من دولة قائمة لها خصومات عميقة مع الحكام الموحدين في مراكش[11].

واستمر هذا التعاون بين الجانبين الى أن تمكن المرينيون من السيطرة على كل ما كان تحت سيطرة الموحدين من أقاليم في المغرب الأقصى، وختموه بالسيطرة على مراكش سنة 668هـ وقتل أبو دبوس آخر خلفاء بني عبد المؤمن الموحدي وإعلان دولتهم .

ثالثاً : إنجازات المرينيين في الجوانب الاقتصادية

اهتم سلاطين بني مرين بحياة المجتمع المغربي لاسيما الاقتصادية منها التي تعود منافعها الى مصلحة الفرد سواء من ناحية تحسن الدخل المادي أو البناء العمراني أو انتشار العلم والتعليم وغيرها من النشاطات الاقتصادية التي حظيت باهتمام كبير هي :

1 – الزراعة :

شهدت بلاد المغرب الأقصى بعد خسارة الموحدين في معركة العقاب 609هـ/1211م وخروج بعض الولاة عليهم تدهوراً اقتصادياً، مما جعل السلاطين المرينيين يولون اهتماماً كبيراً بالجانب الزراعي الذي يمثل العمود الفكري لاقتصاد أي دولة في العصور الوسطى، كون أغلب أبناء

المجتمع يزاولون الزراعة فنشطت الزراعة بعد توفر عوامل الاستقرار السياسي فضلاً عن توفر المياه وخصوبة التربة وعودة الفلاحين الى مزاولة حرفتهم التي أثقلتها الضرائب الموحدية، فخطت الزراعة للأمام ، وذكر أبن أبي زرع (فاس عاصمة المرينيين قائلاً : استحسن من طيب تربها وخصبتها واعتدال هوائها وكثرة ثمارها والتفاف أشجارها) [12].

وهذا ينعكس على أغلب مدن المغرب الأخرى سواء مراكش أو سبتة أو مكناسة أو مدن الساحل الأخرى فتنوعت المحاصيل الزراعية واستخدمت طرق وأساليب جديدة في ري وسقي الأراضي الزراعية وبساتين الفواكة التي كثر انتاجها وتحسن نوعها[13].

وعلى هذا الأساس المتين والمدعوم من قبل الحكام المرينيين حث المرينيون قبائلهم على إدامة الأراضي الزراعية والاهتمام بها بهدف تعميرها واستغلال خيراتها [14].

واعتمدت الدولة المرينية على نظم عديدة في استغلال الأراضي منها : أن قبائل زناتة التي سكنت واستقرت في مدن سلا ، ومكناسة الزيتون قاموا بزراعة الأرض بأنفسهم وهناك قسم من الفلاحين اعتمدوا على أكراء الأرض وتكون منتجاتها مناصفة بين الدولة والفلاح، وهناك من أتبع الزراعة على طريقة الخمس الذي يقوم على زراعة الأرض وخدمتها من الحراثة وحتى نقل المحاصيل الى المخازن والأسواق فيأخذون خمس الحاصل أما نقداً أو عيناً[15]، وهناك طريقة أخرى وهي قيام الدولة بتوزيع الأراضي الزراعية على الفلاحين فيستغلونها بأنفسهم والذين بدورهم يستثمروا الأرض الخصبة وتعمير البور، ومن أبواب نجاح الزراعة في عهد بني مرين هو قيامهم بإلغاء الضرائب التي كان الموحدون قد فرضوها على الفلاحين ، ورفع كل ما هو معيق لعمل الفلاحيين في زراعة الأرض واستصلاحها واستثمارها[16].

والى جانب الزراعة نمت الثروة الحيوانية بشكل كبير نتيجة وفرة الزراعة وتنوعها، وتمثل هذه الثروة جانباً مهماً من جوانب الحياة اليومية لإفراد المجتمع فهي واسطة النقل المهمة، واستخدامها في مجال حراثة الأرض والزراعة والسقي، فضلاً عن قيمتها كمصدر غذائي مهم، فلحومها وألبانها لا يمكن أن يستغنى عنها أي فرد، وجاء الاهتمام المريني بهذه الثروة كون قبائل مرين من القبائل الرعوية البدوية فكانوا يرعون أنعامهم بأنفسهم، فيستفادون من خيراتها المتنوعة فأنعكس ذلك الاهتمام الى تنمية الثروة الحيوانية[17].

2 – **الصناعة** :

تعد الصناعة من مقومات تحسن الوضع الاقتصادي وتعكس حالة نمو وتطور المجتمع، لذا فقد نالت الصناعة اهتماماً حسناً من قبل السلاطين المرينيين ببلاد المغرب الأقصى فأظهر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق (656هـ – 684هـ) عناية بهذا المجال والعمل على تطوره[18].

فنظمت اختصاصات العمل الصناعي، فعين لكل حرفة صناعية رؤساء يسمون "الأمـــن" يـــتم اختيارهم من بين أفضل أصحاب الصنعة وكانت لهم صلاحيات من قبل محتسب السوق كالتصرف في حرية بمصالح المهنة أو الحرفة التي يرأسونها لغرض تحسين الصنعة وأبعاد الغش والعمـــل الـــرديء الذي يقوم به بعض أصحاب المهن[19]. فاشتهرت الصناعات المدنية بكل أنواعها، فضلاً عن تطـــور الصناعات العسكرية وذلك لمواجهة الأخطار الخارجية والداخلية فالمرينيون هـــم أول مـــن اســـتخدم المدافع التي تعمل بالبارود سواء كسلاح بري أو بحري على ظهور السفن[20].

ومن الصناعات التي أعيد بناءها في عصر بني مرين هي السفن حيث بنيت داراً لها في مدينة سلا بفعل تواجد خشب الأرز بفاس وجبال غمارة القريبة من ســـلا[21]، وقـــد اشـــتهرت الـــصناعات الإنشائية والمعدنية التي كانت من أهم وسائل العمران والبناء، إذ عمرت الأماكن الـــصناعية وزينـــت واجهات البيوت بالصناعات الخشبية وأشتهرت صناعة الزجاج بأنواعه المختلفة[22].

3 – **التجارة** :

احتلت التجارة مكانة مرموقة في الاقتصاد المريني الذي تنوعت مصادره وقد أولى السلاطين المرينيين اهتماماً بها من خلال الإجراءات التي اتخذوها كإزالة بعض الضرائب وأكثر الرتب[23] التي كانت في عهد الموحدين تؤخذ من المسافرين في الطرق ، وأزال السلطان عبد الحق المريني ضريبة الإنزال عند ديار الرعي، وأقام المرينيين علاقات تجارية مع حكام مدينة برنـــو فـــي بـــلاد غـــرب الصحراء إذ كان المرينيين يستوردون منها الذهب الخام ويصدرون إلها الملح والمنسوجات المتنوعـــة والجلود وغيرها[24]، فضلاً عن التبادل التجاري مع أفريقية الحفصية وغرناطة الإسلامية وكانت لهـــم علاقات تجارية مع بعض الممالك الأسبانية بعد القرن الثامن الهجري، فنشطت التبـــادلات التجاريـــة وتنوعت السلع المصنعة والأولية[25].

بهذه الأجواء التجارية المزدهرة كثرت الأموال وازدهرت الأحوال الاجتماعية وعمرت البلاد فبنيت القصور والبيوت وعمرت الطرقات وانتعشت مرافق الحياة الأخرى.

رابعاً : الإنجازات العلمية للمرينيين :

نال العلم محطة مهمة من قبل السلاطين والأمراء والوزراء إذ لا ترقـــى الأمـــم إلا بـــالعلم، وتواضع سلاطين المرينيين للعلم والعلماء، وكانت مجالسهم بمثابة ندوات علمية رفيعة بسبب شـــغفهم به، فكان أغلب السلاطين حسني السيرة والسياسة بين الرعية فلازموا الفقهاء، وكثرة مجـــالس العلـــم والوعظ في دولتهم فبذلك التواضع طال عمر دولتهم وعظم ملكهم وذاع صيتهم ومن السلاطين الكبار الذين اهتموا بالعلم وأهله السلطان أبو الحسن وأبنه فارس أبو عنان الذين كانت لهما منـــاظرات مـــع العلماء والفقهاء[26].

وكان للجانب الديني اهتمام كبير من قبل المرينيين وعامة المجتمع المغربي بعد أن ترك الناس تعاليم أبن تومرت، واستعادت المالكية مكانتها بدعم المرينيين فتصدر المذهب المالكي مجالس العلم والاتباع بعد انقطاع طويل على يد الموحدين[27].

كان من تقدير السلاطين لفقهاء المذهب المالكي هو أن السلطان أبو الحسن كان يحرص على أن تقرأ بين يديه الكثير من المؤلفات في المذهب المالكي[28] لهو دليل على تشجيع المذهب على غيره ودعم الفقهاء والعلماء القائمين عليه فبرع أبناء المغرب الأقصى في مختلف العلوم سواء الدينية أو العلوم الصرفة والتوسع في دراستها فنبغ جم كثير من أبناء المغرب في هذه العلوم التي لاقت رواجاً كبيراً بفعل دعم السلاطين لها واستقبال الطلبة والعلماء القادمين الى فاس من مدن المغرب الأخرى، فازدهرت العلوم الدينية بشكل كبير كعلم التفسير والقراءات فنبغ فيهما العالم أبو عبد الله الشريس الحراز المتوفي سنة 817هـ/1419م، أما من برز في علم الحديث النبوي الشريف الذي يعده المسلمون التشريع الثاني للدين الإسلامي بعد القرآن الكريم هو الحافظ عبد المهيمن الحضرمي الذي كان إماماً فيه وحجة في حفظه وإلقائه[29] إذ لقي هذا العلم رواجاً كبيراً لدى العلماء وطلبة العلم فنشطت مسألة نقل كتب الحديث عن طريق استنساخ كتب الحديث وبيعها لطلبة العلم والقائمين عليه[30].

أما علوم الفقه وأصوله فقد لاقت رواجاً واسعاً في المجتمع وتقدماً كبيراً لدى طلبة العلم وهذا يدل على كثرة العلماء والمدارس العلمية التي تنشر العلم الفقهي بين الناس لتعريفهم بشؤون الدين الإسلامي في المعاملات والبيوع وغيرها، والسبب الذي دفع كبار الفقهاء وطلبتهم المتميزين الى نشر الفقه هو الضغط الذي سلطه الموحدين على اتباع المذهب المالكي[31]. وامتدت عناية المرينيين بعلوم اللغة العربية والشعر والأدب فكثر طلبة هذه العلوم وأصبحت من أهم ما يمارسه أبناء المجتمع، فتطاوع اللساني القبلي المريني مع هذه اللغة فأصبحت اللغة العربية هي لغة الدولة الرسمية في جميع معاملتها الرسمية والشعبية وفي كل مفاصل التعامل اليومي[32].

ومن العلماء الذين اهتموا واشتهروا في علوم اللغة العربية محمد بن يحيى العبدري وإبراهيم بن عبد الله أبن الحاج ومحمد بن موسى السلوي الذين كانت مؤلفاتهم تدرس في دور العلم ببلاد المغرب الأقصى وغيرهم كثير، أما من اشتهر في علم التاريخ ونال سمعة طيبة فهو أبن أبي زرع أبو الحسن بن عبد الله الذي توفي سنة 726هـ/1329م والمؤرخ أبن عذاري المراكشي صاحب البيان المغرب المتوفي 713هـ، وأبن مرزوق صاحب كتاب المسند الصحيح الحسن في مآثر أبو الحسن ، فضلاً عن أبن الأحمر الغرناطي وغيرهم، واشتهرت علوم الجغرافية والرحالة الجغرافيين وأشهرهم العبدري، وأبن بطوطة الذي جاب كثير من بقاع العالم واصفاً أحوالها، واشتهر علم الفلك الذي اشتهر

به العالم أبن البناء فكان قمة من بين العلماء في بلاد المغرب الأقصى فكان له مؤلفات في أحكام النجوم وعلم الهيئة[33].

ونال علم الرياضيات اهتمام المرينيون الذي ساعد في بناء المنشآت المرينية وفي مجال الصناعة لاسيما العسكرية منها، واستفاد من هذا العلم في المجال الزراعي حيث أنشأة القنوات الأروائية والجسور والقناطر على الأنهار والجداول، فتم تنظيم السقي وتوزيع المياه، وساعد أيضاً في اختراعات للساعات وعملها والاسطرلابات ودقتها. وصناعة الآلات التي اعتمدت على حمل الأثقال والميكانيك[34].

أما علم الطب فقد لقي اهتماماً كبيراً من قبل السلاطين المرينيين ورواجاً واسعاً من قبل المجتمع الذي أمست بأهمية هذا العلم على صحة الناس، إذ أنشأ السلاطين المرينيين مختلف المارستانات والمصحات لمعالجة مواطني بلاد المغرب من الأمراض[35]. ومن أشهر أطباء المغرب هو أبن شعيب، ونتيجة لهذا الاهتمام الكبير بمختلف العلوم وكثرة المؤلفات فقد قام السلاطين المرينيين بإنشاء مكتبات عامة وخاصة لجمع هذا الكم الهائل من الكتب في علوم شتى لتكون ركائز قوية للحركة العلمية ولطلبة العلم للاستفادة منها وعلى مر الأجيال[36].

هذا بالإضافة الى اهتمام بني مرين بالأدب والآدباء والشعر والشعراء فقد كان كتاب دولتهم أدباء متميزون وعمل السلاطين على دعم الشعراء وأجزال العطاء لهم وهذا تقليد لما قام به الأمويون والعباسيون بالمشرق، وقد تعدى الأمر مكافئة الشعراء والأدباء بل فبعض من السلاطين يقول الشعر كالسلطان أبو العباس أحمد[37].

اتضح مما تقدم من أن المرينيين (668هـ - 869هـ) قد أعطوا حرية ومساحة واسعة لجميع أبناء المجتمع لممارسة دورهم الفكري في حياة المجتمع المغربي فضلاً عن دعمهم المستمر للعلماء وتقربهم لمشايخ الصوفية الكبار الذي بدوره عزز مكانة وفكر التصوف ببلاد المغرب الأقصى في المجتمع[38]، ونتيجة لظهور قوة القوى المسيحية الغربية ضد المسلمين سواء في الأندلس أو بلاد المغرب ازداد اعتقاد الناس بالوعي الصوفي الذي اعتقدوا فيه المعجزات، فضلاً عن السلوك الحسن الذي ظهر على المشايخ فمالت قلوب المجتمع أليهم وعلة مكانتهم لدى الحكام والمجتمع، فأنشأة الزوايا الصوفية واشتهرت فكثر اتباعها وطلبة العلم الذين يدرسون بها ونتيجة للصراع المسيحي الإسلامي في بداية القرن الثامن الهجري. ظهرت الطرق الصوفية الجهادية لمواجهة الخطر المحدق بهم ورداً على الصليبية المتعصبة الجديدة في بلاد الأندلس[39].

عمل رجال التصوف المتميزين على رعاية الفكر الصوفي داخل المجتمع المغربي الذي كانت تقوم على أثراء مقومات مهمة كالأخلاق والتربية والاجتماع بهدف النهوض بأبناء المجتمع الى أعلى مراحل التفاعل الاجتماعي وفق المنظور الصوفي الجديد[40].

خامساً : الإنجازات العمرانية للدولة المرينية .

منذ البدايات الأولى التي سيطر بها المرينيون على مقاليد الحكم في المغرب الأقصى وقيام دولتهم سنة 668هت/1270م واتخاذهم مدينة فاس عاصمة لملكهم، وبعد تعميرهم لفاس القديمة، قرر مؤسس الدولة أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق(656هـ/685هـ) الى:

أ – تأسيس مدينة جديدة بالقرب من المدينة القديمة أطلق عليها أسم فاس الجديدة أو المدينة البيضاء وذلك في عام 676هـ/1278م، وكانت مقراً للحكم والإدارة ومقراً للجيش[41].

كان حرص المرينيين قوياً على تنشيط وتشجيع البناء العمراني في مختلف أرجاء البلاد المغربية لاسيما بعد انتقالهم من طور البداوة وقساوة العيش في الصحراء الى أبهة الحضارة والدولة والملك، فكانت فاس الجديدة وحدة معمارية متكاملة مثلت قصور السلطان وحاشيته والجامع وقدسيته ودار ضرب النقود وهيبتها[42].

كان بناء فاس الجديدة والقديمة يقع على نهر سبوا الذي يشق المدينة الى نصفين عدوة الأندلسيين وعدوة القرويين ولا يمكن أن يتطور البناء العمراني بدون مصدر مستمر للحياة التي بها تستقيم الحياة لقول الله سبحانه وتعالى : **(وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)** [43].

وبما أن الدولة المرينية دولة عسكرية قامت بالسيف وليس على دعوة دينية شأن الموحدين والمرابطين، فكان اتجاه سلاطينها بناء المدن العسكرية لتكون قواعد لانطلاق جيوشهم ومن تلك المدن هي :

ب – مدينة البينة التي بناها السلطان يعقوب بن عبد الحق، لتكون ملاصقة للجزيرة الخضراء في العدوة الأندلسية على بحر الزقاق، إذ بنيت فيها القصور والجوامع والحمامات والأسواق والقناطر على الطرقات الوعرة كقنطرة وادي النجا وقنطرة مارين وغيرها من المنشأت المعمارية[44].

ج – مدينة المنصورة التي بناها السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق خلال حصاره لمدينة تلمسان فبنى فيها القصور الكبيرة والمارستانات والحمامات وزينها بالبستاتين والزرع[45].

د – مدينة تطاوين، ففي سنة 709هـ/1309م قام السلطان أبو ثابت ببناءها قبالة مدينة سبتة التي خضعت مدة لسلطة بني الأحمر وهي من المدن العسكرية التي توسعت فيما بعد وأصبحت من

أهم مدن الساحل المغربي التي انطلقت منها الحركات الجهادية ضد القوات الإسبانية والبرتغالية بعدما تمكنت تلك الجيوش من احتلال بعض مدن الساحل المغربي[46].

كان سلاطين بني مرين يحبون البناء والعمران إذ قام السلطان أبو عنان فارس بن أبي الحسن ببناء مدينة القاهرة على سطح جبل السكسيوي خلال حصاره لأخيه أبو الفضل محمد الذي خرج عليه وذلك في سنة 758هـ/1359م، لتكون قاهرة لأعداءه وقاعدة لجنده في أرض السوس[47]. وفي جانب آخر اهتم السلاطين والأمراء المرينيين ببناء القصور ذات الغرف الكثيرة والكبيرة ، والتي زينت بالنقوش والزخارف ودور للعاملين والخدم ، وفيها دور خاصة بالضيافة داخل تلك القصور[48].

وعُني السلاطين والقائمين على السلطة ببناء الفنادق ومحطات الاستراحة في المدن الكبرى وعلى الطرق التجارية وذلك لإيواء التجار والعاملين معهم وللحفاظ على بضائعهم فكانت تزين أهم الطرق التجارية والمدن المهمة ولتقدم أنواع الخدمات للعابرين عبر تلك الطرق والمدن[49] ، ومن محاسن بني مرين في مجال البناء هو بناءهم لأكثر من مدرسة في عاصمتهم لتكون مراكز علمية وتحف معمارية باقية الى الآن، ومن أهم المدارس المرينية هي مدرسة العطارين أو مدرسة مصباح التي بناها السلطان أبو الحسن في سنة 747هـ/1346م بالقرب من جامع القروين، وفي سنة 752هـ/1351م بني السلطان الكبير أبو عنان أروع مدرسة من الناحية المعمارية التي عرفت بالمدرسة البوعنانية، وكانتا تلك المدارس تحتوي على قاعات كبيرة للمحاضرات ومسجد للصلاة ومحلات للوضوء وكان يتوسطها نافورة رخامية تعبر عن اهتمام المرينيين بالفن المعماري[50]. لخدمة العلم والجانب الحضاري لتلك الدولة وبلاد المغرب عموماً وهناك الكثير من المدارس التي انتشرت في كبريات المدن المغربية لاسيما فاس وسبتة ومكناس وغيرها.

ومن الصور المعمارية التي اشتهر بها المرينيين هي المساجد التي أضيفت الى سابقاتها وهي الجامع الأحمر في فاس ومسجد الزهرة ومسجد الوراقين ومسجد أبو الحسن[51]. فضلاً عن المساجد الكبيرة التي بنيت في المدن الجديدة التي بناها المرينييون خلال قيامهم بمواجهة خصومهم من الجزيرة الخضراء الى أطراف الصحراء، إذن أزدهرت الجوانب المعمارية في مختلف متطلبات الحياة العلمية والاجتماعية، فضلاً عن ذلك ازدهرت الزوايا والربط الصوفية فبنيت على أحسن طراز العمارة المغربية ودليل على أهمية أصحاب تلك الطرق الصوفية وإظهار هيبتهم من خلال حسن بناء تلك الزوايا الصوفية ورونقها .

سادساً : إنجازات مرينية في مجالات مختلفة

أ – التخفيف من الضرائب المفروضة على الناس :

هناك ضرائب قد فرضها الشرع الإسلامي على الزروع والتجارة وغيرها إلا أن بعض الحكام من الموحدين قد فرضوا ضرائب كبيرة على المجتمع المغربي تجاوزت حدود الشرع مما أثقل كاهل الفرد، وحد من نشاطه أو تركه لعمله، كل هذا دفع السلاطين المرينيين الى إعادة المجتمع من جديد وأول عمل قاموا به هو تخفيف بعض الضرائب التي تعرف بالانزال وضريبة الطرق التجارية وبعض المكوس الزائدة على التجارية التي حدة من التبادل التجاري[52].

ويعد هذا العمل من السلاطين هو الرأفة بأبناء المجتمع من أجل النهوض به من جديد مع تطور حركة المجتمع المتجددين ، إذ أن السلطان أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق قد ترك للناس حرية دفع الزكاة التي هي من العوائد المهمة لدخل الدولة المرينية والتي تستند في مشروعيتها الى الشرع الإسلامي الحنيف[53].

بمعنى حرية التصرف بزكاة الفطر بإعطاءها الى من يرغب بتوزيعها وحرص أكثر السلاطين على أن يكون القائمين بجمع الزكاة ليسوا العمال وموظفوهم بل جعلوها في عهدة الفقهاء مراعاة لدقة الجمع وتعزيز جانب العدل وتحقيقه[54].

ب – العملة المرينية :

تعد العملة النقدية الواجهة القوية والحقيقية لأي نظام اقتصادي في أي دولة، إذ تتوقف كثير من الأمور الحياتية على قيمة العملة في السوق ومدى قوتها وقدرتها على التحكم بالسوق والقدرة الشرائية للفرد ، ودليل على قوة الدولة وتقدمها ورفاهها الاقتصادي، وكانت العملة المستخدمة في عصر الدولة المرينية هي الدنانير الذهبية والدراهم الفضية الصغيرة والكبيرة، والفلس وهو من الفضة أيضاً ، واتخذت هذه العملة شكلاً دائرياً وإزالة الشكل المربع الموحدي ، واختلف قيمة الدنانير والدراهم على مر الأزمنة فنراها توافق الشرع ومرة لا توافق فتنقص قيمها ولكن على العموم كانت العملة المرينية من العُمل الجيدة التي نالت ثقة التجار والمتعاملين في الأسواق والصيارفة وغيرهم[55].

وكان أغلب الذهب الذي تصنع منه العملة المرينية يأتي من بلاد السودان أي غرب أفريقيا وبعض المناجم المحلية مثل مناجم الذهب الموجودة في جبال تازي الذي قال عنه البكري[56] ((بأنه أعتق الذهب وأجوده)) ، وقد جعل السلاطين المرينيين موظفين على دار السكة "أمناء" ومسؤولية هؤلاء هو الإشراف على سك العملة ومراقبة صاغة الحلي الذهبية، وكان مع الأمناء هؤلاء عدول وكتاب ومعاونين بهدف ضبط الأوزان وعدم الدلس في العملة وغشها[57].

ج – المكاييل والأوزان :

لقد أجرى بني مرين تغييراً يتلائم مع الحياة الاقتصادية للدولة والتي تعد من الأمور التي يعتمد عليها البيع والشراء وحركة الأسواق فالمرينيون استعملوا في بيعهم وشراءهم أنواع متعددة من المكاييل والاوزان وكانت المكاييل عندهم أكثر استعمالاً من الموازين وذلك لدقتها ، فالباعة لا يحبذونها إلا في حالة تعذر وجود الميزان، فقد قام السلطان يعقوب بن عبد الحق (656هـ - 685هـ/1258م – 1287م) بتحديد الرطل المريني بمقدار تسع وستين درهماً من الدراهم الصغيرة، وكان الصاع المريني عبارة عن أربعة أمداد بمد النبي (صلى الله عليه وسلم) وهو يعاد كيلاً 4.924 لتر[58].

واستخدام المرينيون الصاع والوسق الذي كان يسمى ببلاد المغرب بالصفحة وهو يعادل كيلاً 215.554 لتر، واستخدم المرينيون أيضاً الرطل الذي كان يساوي 16 أوقية وكان الرطل الخضاري يساوي 18 أوقية، وهناك رطل كان يستخدم لوزن المواد الدسمة والفواكه المجففة وهو يساوي 24 أوقية، وكان المرينيون يعتمدون على الصفحة لكيل الحبوب بأنواعها[59]. وقد عكست تلك الأوزان والمكاييل التطور الاقتصادي والتنوع السلعي في بلاد وأسواق المغرب الأقصى في ظل بني مرين الذين كان يهمهم حياة المواطن والمجتمع بشكل خاص وللحفاظ على ديمومة النشاط الاقتصادي في أرجاء الدولة بشكل عام .

سابعاً : عوامل تدهور الدولة المرينية

بعد كل الإنجازات الكبيرة التي حققتها الدولة المرينية في شتى مجالات الحياة ولكن هذا الصعود قابله في نهاية الأمر تراجع وأفول، لذلك تضافرت عدة عوامل أدت الى ذلك التراجع والذي حد من تقدم الدولة وسألخص ذلك بنقاط :

1 – الصراع العسكري المستمر مع الممالك الأسبانية نصرة لمسلمي الأندلس والحفاظ عليهم .

2 – النزاع الداخلي على السلطة بين الأمراء المرينيين، فكثرت المكائد والدسائس داخل البلاط المريني مما اتاح الى التدخل في شؤون الحكم من قبل الطامعين فيه.

3 – الحروب غير المبررة التي قادها بعض سلاطين بني مرين ضد جيرانهم من بني عبد الواد في الجزائر ومع بني حفص في أفريقية مما ساعد على خسائر كبيرة في الأموال والأرواح وضعف في مفاصل الدولة .

4 – نشوء صراع كبير مع سلاطين غرناطة مما دفع سلاطين بني الأحمر (628هـ/897هـ) الى قيادة حملات عسكرية ضد مشيخة الغزاة ببلاد الأندلس، وبعدها استولوا على جميع مناطق

النفوذ المرينية هناك ابتداءاً بمدينة رندة وانتهاء بجل الفتح، مما أفقد المرينيين هيبتهم في صدور أعدائهم ابتداءً من سنة 762هـ/1360م[60].

5 – تعرض السواحل البحرية المغربية الى هجمات القوى النصرانية الغربية فانتقل الصراع العسكري من بلاد الأندلس الى حدود بلاد المغرب ، فاحتلت تلك القوى المتمثلة في أسبانيا والبرتغال مدينة سبتة سنة 818هـ/1414م وقصر مصمودة والقصر الكبير سنة 863هـ/1458م، وبعدها طنجة سنة 869هـ/1464م[61].

6 – اعتمد آخر سلاطين بني مرين عبد الحق على طائفة اليهود في إدارة الدولة ومنها الوزارة ، فظلم هؤلاء اليهود المجتمع المغربي فقام الفقهاء بقيادة ثورة ضد السلطان وقتلوه سنة 869هـ/1467م وبذلك أنتهت حياة الدولة المرينية .

الخاتمة :

إن قيام الدولة المرينية تطلب من قادتها الأوائل جهداً كبيراً وخوضهم معارك قوية وعنيفة مع الخلافة الموحدية ، وتمخض عن تلك المعارك أن سقطت دولة الموحدين وعاصمتهم مراكش بأيدي بني مرين سنة 668هـ/1269م وقتل الخليفة الموحدي أبو دبوس، وبعد إعلان المرينيين دولتهم أسهم سلاطينهم في العمل على استقرار الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي من خلال قيامهم بالقضاء على القوى المناهضة لهم بالقوة مرة وبالمصالحة مع القبائل والخارجين تارة أخرى، فضلاً عن قيامهم بمواجهة القوى النصرانية في بلاد الأندلس دفاعاً عن المسلمين هناك لمدة قرن تقريباً ، وركز المرينيين على تنمية وتقوية المظاهر الحضارية والفكرية لبلاد المغرب الأقصى، وشهد عصر بني مرين ازدهار وتطوراً واستقرار نسبياً مما أتاح لأبناء المجتمع الإبداع والنمو والتقدم، وحصل ذلك الرقي بفعل الجهود التي بذلها السلاطين مباشرة أو أفراد البيت المريني أو وزراء الدولة المشهورين .

في جانب مهم من جوانب التقدم الذي كان يقوده الفقهاء والعلماء والصلحاء الذي حظي بمنزلة كبيرة ومكانة عالية لدى السلاطين وعامة المجتمع، لأنهم كانوا يمثلون حلقة التقدم التي تدفع بأبناء المجتمع الى الأمام، فأنعكس ذلك التقدم على العلماء والفقهاء أنفسهم نتيجة ما حققوه من مكانة في نفوس المجتمع ، أذ كثر الإنتاج الفكري وزادت مؤلفاتهم في مختلف الفنون ، فأثر ذلك الإنتاج في الحياة الثقافية والفكرية ليس في بلاد المغرب الأقصى بل شمل عموم المغرب الإسلامي فنهضت العلوم الدينية بكل فروعها واللغة العربية والأدبية بكل أنواعها.

إضافة الى ذلك نال الجانب الاقتصادي بكل أنواعه عناية كبيرة من قبل الدولة المرينية، أذ أنعكس على تحسن حالة الفرد المعاشية، مما انعكس على احترام المواطن للدولة وقادتها ونال الجانب

المعماري من بناء للقصور والزوايا والمدارس والمستشفيات والجسور والقناطر وتحسين للطرق وحمايتها مكانة محترمة والتي بقيت شاخصة في ربوع تلك البلاد حتى وقتنا الحاضر .

عملت الدولة المرينية على الاهتمام بالفرد المغربي فرفعت عنه الظلم والحيف فساوت بين أبناء المجتمع ، فحضيت بولاء كبير من قبل مواطنيها فرفعت عن المواطن الضرائب المكلفة والأتاوات المفرطة وبعض المكوس الجائرة، فعمل الفرد المغربي على تقديم كل ما لديه خدمة للمجتمع والدولة فعمرت البلاد ورفعت الهمهم في البناء وازدهرت العلوم والمعارف. لكل ما تقدم تستحق الدولة المرينية الذكر الحسن لأن سيرة أغلب سلاطينها كانت مسيرتهم حسنة مع أبناء دولتهم فنالوا الرضا والتوفيق .

الهوامش :

(1) الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ) تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1960، ج1، ص42؛ أبن أبي زرع، أبو الحسن بن عبد الله (ت726هـ)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972، ص278 – 279 ؛ أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ) العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذي سلطان الأكبر ، مراجعة سهيل زكار، بيروت، 1988، ج7، ص196.

(2) أبن أبي زرع ، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، نشر محمد لبيب أبي شنب، الجزائر، 1920، ص23 ، الأنيس المطرب ، ص280 .

(3) أبن سماك العاملي ، أبو القاسم محمد بن أبي محمد بن سماك المالقي الغرناطي (من علماء القرن الثامن الهجري) ، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، 2010، ص261 .

(4) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص282؛ ليتررونو، روجي ، حركة الموحدين في المغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، ترجمة د. أمين الطيب، ليبيا، 1982، ص104.

(5) أبن عذاري ، أبو العباس أحمد بن محمد (ت 713هـ)، البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب ، قسم الموحدين ، نشره أجروس هويسي مرانده، دار كريماريس للطباعة، تطوان، المغرب، 1960، ص436 – 437، أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 303 .

(6) أبن السماك العاملي ، الحلل الموشية ، ص243 .

(7) حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، 1993 ، ج2 ، ص2 – 10 .

(8) البكري ، عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ) ، المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، نشر دار دي مسيلان، الجزائر ، 1857م ، ص148 .

(9) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 182 ؛ الذخيرة السنية ، ص19 – 20 .

(10) محمد المنوني، ورقات عن الحضارة المرينية ، مجلة المؤرخ العربي، ع5 ، س2000، ص18 – 20 .

(11) الزركشي، أبو عبد الله بن إبراهيم (ت932هـ) ، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة ، ط2، تونس، 1965 ، ص18 .

(12) الذخيرة السنية ، ص26 .

(13) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص61 .

(14) حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980، ص235 .

(15) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 294 .

(16) أبن خلدون ، العبر ، ج7، ص69 .

(17) أبن الأحمر، الوليد إسماعيل بن يوسف بن محمد الغرناطي (ت810هـ)، روضة النسرين في دولة بن مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962، ص32 ؛ أبن خلدون، العبر، ج7، ص337.

(18) المنوني ، ورقات ، ص110.

(19) المنوني ، المصدر نفسه ، ص 110 .

(20) الفنجري، أحمد شوقي، المدفع والبارود اختراع عربي ، مجلة الفيصل ، ع12، س10، السعودية، 1988، ص164 ، أبن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص249، المريني، عبد الحق، الجيش المغربي عبر التاريخ، دار نشر المعرفة ، بيروت ، 1969، ص45 .

(21) الجزنائي ، أبو الحسن علي (ت766هـ)، زهرة الأس في بناء مدينة فاس، تحقيق الفريد بيل، مطبعة باستيد جوردان، الجزائر ، 1922، ص27 ، 32 .

(22) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 47 .

(23) م.ن ، ص31 .

(24) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، لوتورنو روجيه، فاس في عصر بني مرين ، ترجمة نقولازيادة، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، بيروت ، 1967، ص15 – 16 .

(25) كونستبل، أوليقاريمي، التجارة والتجار في الأندلس ، تعريب ، د. فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002، ص220، 236 – 243 .

(26) الكتاني ، محمد بن جعفر بن حسين بن إدريس الإدريسي (ت1214هـ)، سلوة الأنفاس في محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس ،المغرب ، فاس ، 1406هـ ، ج2، ص168 .

(27) الجزنائي ، زهرة الأس ، ص14 .

(28) الجزنائي ، المصدر نفسه ، ص15 – 16 .

(29) الزركشي، تاريخ الدولتين ، ص76 .

(30) أبن القاضي ، أحمد بن محمد المكناسي (ت1025هـ) ، جذوة الاقتباس فيمن حل بالأعلام بمدينة فاس، فاس، 1309هـ، ص180 .

(31) أبن القاضي ، المصدر نفسه ، ص180 .

(32) ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص391 .

(33) أبن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص 78 .

(34) الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج2، ص157 – 158 .

(35) لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين ، ص43 .

(36) أبن خلدون ، العبر ، ج7 ، ص230 .

(37) المقري ، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني، (ت1041هـ) نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت ، د.ت، ج1، ص106 – 112 .

(38) أبن القاضي ، جذوة الاقتباس ، ص 228 .

(39) الأنصاري ، الحسين بن أحمد ، نفحات النسرين الريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنـــشر والتوزيـــع، تقديم وتعليق ، محمد زينهم ، القاهرة ، د.ت، ص47 ؛ المغرب عبر التاريخ ، ص 87 .

(40) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ص 87 – 88 .

(41) أبن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص161 ؛ لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين، ص26 .

(42) أبن الأحمر ، روضة النسرين ، ص20 ؛ المنوني ، ورقات عن حضارة المرينين ، ص27 .

(43) سورة الأنبياء/ الآية 30

(44) أبن أبي زرع ، الذخيرة السنية ، ص90 ؛ أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص221 .

(45) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 387 .

(46) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص314 .

(47) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ؛ السلاوي ، أبو العباس أحمد بن خالد (1315هـ)، الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر ومحمد الناصري ، دار الكتاب المغربي 1955، ج3 ، ص190 .

(48) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 385 .

(49) الجزنائي ، زهرة الأس ، ص80 .

(50) لوتورنو ، فاس في عصر بني مرين، ص 43 – 44 .

(51) لوتورنو ، المصدر نفسه ، ص 46 .

(52) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص211 .

(53) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 375 .

(54) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص211 ؛ حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، ص221 – 222 .

(55) ج . د . بريت، النقود والأوسمة المغربية ، الدار البيضاء ، 1939، ص180 – 181؛ المنوني، ورقات عن حضارة المرينين ، ص98 .

(56) البكري ، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، ص118 – 119 .

(57) الونشر يسي ، احمد بن يحيى (ت914هـ) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء افريقية والاندلس والمغرب ، خرجته جماعة من الفقهاء بأشراف د.محمد صبحي ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990، ج5، ص82-83، ج6، ص42-43.

(58) البكري ، المغرب في ذكر أفريقية والمغرب ، ص117 ؛ المنوني ، نظم الدولة المرينية ؛ مجلة البحث العلمي ، ع2 ، س1 – 1984 ، ص247 – 248 .

(59) أبن أبي زرع ، الأنيس المطرب ، ص 89 ؛ القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت821هـ) ، صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب ، بيروت ، 1988، ج5، ص517 ؛ الخزاعي، كريم عاتي ، أسواق بلاد المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري ، بغداد ، 2008 ، ص170 – 171 .

(60) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص349 – 354 .

(61) أبن خلدون ، العبر ، ج 7 ، ص410 .

- **القران الكريم**

قائمة المصادر المراجع :

- أبن الأحمر، الوليد بن إسماعيل بن يوسف بن محمد الغرناطي (ت810هـ):

1. روضة النسرين في دولة بني مرين، المطبعة الملكية، الرباط، 1962م.

- البكري، عبد الله بن عبد العزيز (ت478هـ):

2. المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، نشر دار دي مسيلان، الجزائر، 1857م.

- الجزنائي، أبو الحسن علي (ت766هـ):

3. زهرة الأس في بناء مدينة فاس، مطبعة باستيد جوردان، الجزائر، 1922م.

- أبن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت808هـ):

4. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مراجعة سهيل زكار، بيروت ، 1988م.

- الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ):

5. تاريخ الرسل والملوك، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1940م.

- أبن أبي زرع، أبو الحسن بن عبد الله (ت726هـ):

6. الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972.

- أبن أبي زرع :

7. الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشر محمد لبيب، أبي شنب، الجزائر، 1920م.

- الزركشي، أبو عبد الله بن إبراهيم (ت932هـ):

8. تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس ، 1965م.

- أبن السماك، أبو القاسم محمد بن أبي محمد بن السماك الغرناطي (من علماء القرن الثامن الهجري):

9. الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، دراسة وتحقيق، عبد القادر دربالة، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، 2010م.

- أبن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد (ت713هـ):

10. البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، قسم الموحدين، نشر أجروس هويسي مرانده، دار كريماس للطباعة، المغرب، تطون، 1960م.

- القلقشندي، أحمد بن عبد الله (ت821هـ):

11. صبح الأعشى في صناعة الأنشا، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1988م.
- أبن القاضي، أحمد بن محمد القاضي (ت1035هـ):
12. جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام بمدينة فاس، المغرب، فاس، 1309هـ.
- الكتاني، محمد بن جعفر بن حسين بن إدريس الإدريسي (ت1216هـ):
13. سلوة الأنفاس في محادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، المغرب، فاس، 1406هـ.
- المقري، أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ):
14. نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت) .
- الونشر يسي ، احمد بن يحيى (ت914هـ):
15. المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقية والاندلس والمغرب ، خرجه جماعة من الفقهاء بأشراف د.محمد صبحي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990.
- الأنصاري، الحسين بن أحمد:
16. نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، تقديم وتعليق محمد زينهم عذب، القاهرة (د.ت).
- ج . دابريت :
17. النقود والأوسمة المغربية، الدار البيضاء، 1939م.
- حسن، علي حسن:
18. الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1980م.
- حركات، إبراهيم:
19. المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1993م.
- الخزاعي، كريم عاتي:
20. أسواق المغرب من القرن السادس حتى نهاية القرن التاسع الهجري، بغداد، 2008م.
- ريمي كونستيل، أوليفيا :
21. التجارة والتجار في الأندلس، ترجمة الدكتور فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002م.
- السلاوي، أبو العباس أحمد بن خالد (ت1315هـ):

22. الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق، جعفر ومحمد الناصري، دار الكتاب المغرب، 1955م.
- الفنجري، أحمد شوقي:
23. المدفع والبارود اختراع عربي، مجلة الفيصل، السعودية ، 1988م.
- لوتورنو، روجيه:
24. فاس في عصر بني مرين، ترجمة نقولا زيادة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، 1967م.
25. حركة الموحدين في المغرب خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلادي، ترجمة، أمين الطيب، ليبيا، 1982م.
- المريني، عبد الحق :
26. الجيش المغربي عبر التاريخ، دار نشر المعرفة، بيروت، 1969م.
- المنوني، محمد :
27. ورقات عن الحضارة المرينية، مجلة المؤرخ العربي، ع5، س2000م.
28. نظم الدولة المرينية، مجلة البحث العلمي، ع2، س1، 1984.